الفصل الأول

معنى الدين

obeikandl.com

obeikandl.com

معنى الدين

الدين كلمة عربية اصيلة:

ادعى بعض المستشرقين أن كلمة الدين ليست عربية الأصل وأنها مستعارة من الفارسية أو أنها ترجع هي والكلمة الآرامية إلى أصل واحد يقول ماكدونالد -في دائرة المعارف الإسلامية-: إن كلمة الدين أساسها كلمات ثلاث قائمة برأسها:

(١) كلمة آرامية عبرية مستعارة معناها (الحساب).

(٢) كلمة عربية خالصة معناها (عادة) أو (استعمال) تَمُتُّ هي والكلمة الأولى إلى أصل واحد.

(٣) كلمة فارسية مستقلة تمام الاستقلال معناها (ديانة).

وقد عارض (فولرز) الرأي القائل بوجود كلمة عربية خالصة هي (دين)، وبين أن الكلمة الفارسية (دين) بمعنى ديانة كانت مستعملة بالفعل في اللغة العربية أيام الجاهلية، وذهب إلى أن المعنى (عادة) أو (استعمال) قد اشتق من هذه الكلمة [١].

وهذا يعني أنه ينكر أن يكون لفظ دين بمعنى ديانة هو عربي وإنما هو مستعار من الفارسية.

والواقع أن هذه دعوى مغرضة فالكلمة أصيلة في اللغة العربية ويدل على ذلك أنها قد اشتملت على كل أصل يمكن أن يتفرع منه لفظ (دين).

ففيها (دان- ودنته دينا، ودين، ويدين، وتدين، ومتدين، وديان.. إلى

(١) دائرة المعارف الإسلامية (المجلد التاسع) ص٣٦٨. دار المعرفة، بيروت.

آخره) وكل ما يحمل معنى التدين بوجه أو بآخر -كما سنبين فيما بعد.

يقول د. محمد عبد الله دراز (وهكذا يظهر لنا جليًّا أن هذه المادة بكل معانيها أصيلة في اللغة العربية وأن ما ظنه بعض المستشرقين -من أنها دخيلة، معربة عن العبرية أو الفارسية في كل استعمالاتها أو في أكثرها- بعيد كل البعد، ولعلها نزعة شعوبية [١] تريد تجريد العرب من كل فضيلة، حتى فضيلة البيان التي هي أعز مفاخرهم) [٢] فغير صحيح أن يكون لفظ (دين) بمعنى (ديانة) غير عربي خصوصًا مع الاعتراف بوجود اللفظ نفسه عربيًّا بمعنى آخر في رأي المستشرق (ماكدونالد).

هذا وقد تعددت تصاريف الكلمة في العربية، وكثرت صيغها وتشعبت استعمالاتها مما يؤكد أصالتها العربية.

---

(١) جاء في لسان العرب (الشعوبي: محتقر أمر العرب، وهو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم) لسان العرب ص٢٢٧٠ ط دار المعارف. وفي القاموس (الشعوبي: محتقر أمر العرب وهم الشعوبية) (القاموس المحيط) جـ١ ص١٩ ط. الحلبي (والشعوبية: نزعة ظهرت في العصر العباسي الأول نظرت إلى العرب بعين ملؤها الكراهية واستهدفت النيل منهم والحط من شأنهم) ، يقول كرد على (الشعوبية قوم متعصبون على العرب يفضلون عليهم العجم، ظهرت دعوتهم بعد عصر الخلفاء بدخول أجيال كثيرة من الفرس والترك والنبط في خدمة الدولة الإسلامية، فنشأت العداوات بين العرب أصحاب الدولة وبين العجم الذين انتحلوا الإسلام، ونحن هنا نطلق لفظ الشعوبية على كل من ناهضوا العرب في القديم والحديث، وفي الشرق والغرب، وقاموا ينقصون من قدر حضارتهم وتاريخهم، لأغراض في نفوسهم لا تخفى على أرباب البصائر، ولهؤلاء الشعوبيين طرق غريبة في الحط من العرب، يتناولون فيها كل مسألة تؤدي مباشرة أو غير مباشرة إلى العبث بالمزايا التي تفرد العرب بها) (راجع كرد على: الإسلام والحضارة العربية (الجزء الأول) ص٣٥-٣٦ ط. دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٦م) لمزيد من التعرف على الشعوبية راجع أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ١ ص٤٩-٧٨ الطبعة العاشرة. مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٨٢م، د. إبراهيم أحمد العدوي: المجتمع العربي ومناهضة الشعوبية ص١٢ وما بعدها. ط أولى. مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٦١م. سميرة مختار: الزندقة والشعوبية ص٧٤ وما بعدها. مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٨م، د. عبد العزيز الدورى: الجذور التاريخية للشعوبية ص١١ وما بعدها ط. بيروت سنة ١٩٦٢م.

(٢) د. محمد عبد الله دراز: الدين ص٢٧ مطبعة السعادة سنة ١٩٦٩م.

فالناظر في هذه المادة يجد من تفنن العرب في الاشتقاق منها، وتعديد الصيغ، وفي تشعب استعمالاتهم لها ما لم تجر به عادتهم في الكلمات المعربة [١].

معنى الدين في اللغة:

وردت كلمة (دين) في معاجم اللغة بمعان مختلفة، متقاربة، ومتباعدة تباعدًا يصل -أحيانًا- إلى حد التناقض، فلو نظرت إلى هذه الكلمة مثلاً في (لسان العرب) و (القاموس المحيط) وجدت لها المعاني التالية:

«الجزاء- الإسلام- العادة- العبادة- الطاعة- الذل- الداء- الحساب- القهر- الغلبة- الاستعلاء- السلطان- الملك- الحكم- السيرة- التدبير- التوحيد- واسم لجميع ما يتعبد الله عز وجل به- الملة- الورع- المعصية- الإكراه- الحال- والقضاء. . . إلى آخره» [٢].

ولكن إذا نظرنا إلى متعلقات هذه الكلمة، نجد أنه من وراء هذا الاختلاف في الظاهر تقاربًا في المعنى. إذ نجد أن هذه المعاني الكثيرة تعود في نهاية الأمر إلى ثلاثة معاني:

وذلك يرجع إلى أن مادة (دين) تتضمن ثلاثة أفعال:

أولاً: فعلاً متعديًا بنفسه.

ثانيًا: فعلاً متعديًا باللام.

ثالثًا: فعلاً متعديًا بالباء.

فإذا كان الفعل متعديًا بنفسه (دانه دينًا) يكون المعنى أنه (ملكه، وحكمه،

---

(١) الشيخ مصطفى عبد الرازق: الدين والوحي والإسلام ص٢٣، ٢٤ (مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية) سنة ١٩٤٥م.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ص١٤٦٦-١٤٦٩ ط دار المعارف، الفيروزآباداي: القاموس المحيط جـ٤ ص٢٦٦-٢٢٧ الطبعة الثانية ط الحلبي سنة ١٩٥٢م. الزبيدي: تاج العروس مع جواهر القاموس (المجلد التاسع) ص٢٠٧-٢٠٨. دار مكتبة الحياة. بيروت.

وغلبه، وقهره، وحاسبه، وجازاه).

ومنه قول الحطيئة لأمه:

لقد دينت أمر بنيك حتى تركتهم أدق من الطحين

يعني (ملكت)

ومنه «كما تدين تدان» [١] أي كما تجازي تجازى.

قال خويلد بن نوفل الكلابي للحارث بن أبي شمر الغساني وكان قد اغتصب ابنته:

يا أيها الملك المخوف أما ترى ليلاً وصبحًا كيف يختلفان؟

هل تستطيع الشمس أن تأتي بها ليلاً وهل لك بالمليك يدان؟

يا حار أيقن أن ملكك زائل واعلم بأن كما تدين تدان

أي تجزى بما تفعل [٢].

ومنه قول الله تعالى: ﴿أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات :٥٣] أي مجزيون ومحاسبون.

وقول الرسول ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت» [٣] أي قهرها، وحكمها. وقيل: وحاسبها.

وفي حديث ابن عمرو: «لا تسبوا السلطان فإن كان لا بد فقولوا: اللهم دنهم كما

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التفسير) (باب ما جاء في فاتحة الكتاب) حيث قال: (الدين الجزاء في الخير والشر كما تدين تدان) ثم قال ابن حجر: (هو كلام أبي عبيدة أيضًا قال: الدين الحساب والجزاء يقال في المثل: كما تدين تدان. وقد ورد هذا في حديث مرفوع أخرجه عبد الرازق بن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وهو مرسل ورجاله ثقات) ا هـ. وهو بهذا يشير إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((البر لا يبلى والإثم لا ينسى والديان لا يموت فكن كما شئت كما تدين تدان)) (راجع فتح الباري الجزء الثامن ص٦. ط دار الريان للتراث).

(٢) لسان العرب ص١٤٦٨، ١٤٦٩.

(٣) أخرجه الترمذي وقال عنه: حديث حسن (كتاب صفة القيامة) جـ٤ ص٦٣٨ (تحقيق إبراهيم عطوة) . دار إحياء التراث بيروت، وابن ماجه (كتاب الزهد) (باب ذكر الموت والاستعداد له) ص١٤٢٣، والإمام أحمد في مسنده جـ٤ ص١٢٤ المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت.

يدينونا» [١] أي اجزهم بما يعاملونا به.

ومنه الديان بمعنى الحاكم القاضي. وقيل بمعنى القهار [٢] ويدل عليه قول الأعشى الحرمازي يخاطب الرسول ﷺ: (يا سيد الناس وديان العرب) [٣].

وقول ذي الإصبع العداوني:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب　　فينا ولا أنت دياني فتخزوني

أي لست بقاهري فتسوس أمري [٤].

- أما إذا كان الفعل متعديًا باللام (دان له) فإنه يكون بمعنى الطاعة والخضوع والعبادة يقال: (دنته ودنت له) أي أطعته. (والدين لله) -كما يقول ابن منظور- بمعنى طاعته والتعبد له [٥].

ومنه قول الرسول ﷺ لأبي طالب: (أريد من قريش كلمة تدين لهم بها العرب) [٦] أي تطيعهم وتخضع لهم.

- وإذا كان الفعل متعديًا بالباء (دان به) فإن كلمة (دين) يراد بها الاعتقاد والعادة والمذهب والطريقة.

يقال (دان بكذا ديانة، وتدين بها) فهو ديِّن ومتدين [٧].

---

(١) أورده ابن الأثير في كتابه (النهاية في غريب الحديث) دون تخريج جـ٢ ص١٤٩ (تحقيق محمد محمد الطناحي، طاهر أحمد الزاوي، الناشر المكتبة الإسلامية. ط أولى سنة ١٩٦٣. قال عنه الألباني: لم أجده إلا في النهاية في غريب الحديث، وقد أورده من حديث ابن عمرو. وأما حُديث ابن عمر فقد أورده الشيخ إسماعيل العجلوني في (كشف الخفاء) جـ١ ص٤٥٦ بلفظ آخر وليس فيه موضع الشاهد (راجع هامش المصطلحات الأربعة في القرآن لأبي الأعلى المودودي ص١١١).

(٢) لسان العرب ص ١٤٦٧.

(٣) هذا البيت من أرجوزة الأعشى الحرمازي يمدح رسول الله ﷺ. وقد أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد مسند أبيه (رقم ٦٨٨٥-٦٨٨٦).

(٤) لسان العرب ص ١٤٦٧.　　(٥) نفسه ص١٤٦٩.

(٦) أخرجه الترمذي (كتاب التفسير) (باب سورة ص) وقال عنه: حديث حسن جـ٥ ص٣٦٦، والإمام أحمد في مسنده جـ١ ص٢٢٧، ٣٦٢.

(٧) لسان العرب ص١٤٦٩.

obeikandl.com

ومنه حديث علّي كرم الله وجهه: (محبة العلماء دين يدان به).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: (كانت قريش ومن دان بدينهم) [١] أي اتبعهم في دينهم ووافقهم عليه واتخذ دينهم له دينًا وعبادة [٢].

وجملة القول في هذه المعاني اللغوية أن كلمة (الدين) عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعًا وانقيادًا. وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرًا وسلطانًا، وحكمًا، وإلزامًا وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذي يعبر عنها.

ويمكن القول أن المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد [٣].

ففي الاستعمال الأول: الدين هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني هو التزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد به [٤].

ولا يخفى أن معنى اللزوم هذا هو المحور الذي تدور عليه كلمة (الدين) بفتح الدال. وأن الفرق بين (الدين) بالفتح و (الدين) بالكسر [٥] هو أن

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير) باب (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) جـ٨ ص٢٥، والإمام مسلم (كتاب الحج) باب (في الوقوف وقوله ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) الجزء الثاني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط. عيسى الحلبي.

(٢) لسان العرب ص١٤٧٠.

(٣) يقول ابن فارس (دين: الدال والياء، والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها وهو جنس من الانقياد والذل) (معجم مقاييس اللغة) جـ٢ ص٣١٩ تحقيق عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثانية. مكتبة مصطفى الحلبي سنة ١٩٧٠م. وقال الزبيدي: الدين الذل والانقياد قيل هو أصل المعنى وبهذا سميت الشريعة دينًا (تاج العروس) المجلد التاسع ص٢٠٨.

(٤) د/ محمد عبد الله دراز: الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) ص٢٧ مطبعة السعادة.

(٥) وفي تعليق الشيخ أبو الوفا نصر الهدريني على القاموس قال -نقلاً عن القرافي- إن الأصمعي نقل عن بعض العرب إنما فتح دال الدين لأن صاحبه يعلو المدين، وضم دال الدنيا لابتنائها على الشدة، وكسر دال الدين لابتنائه على الخضوع (القاموس المحيط) جـ٤ هامش ص٢٦٦-٢٢٧، راجع أيضًا تاج العروس (المجلد التاسع) ص٢٠٧.

أحدهما يتضمن في أصله إلزامًا ماليًا، والآخر يتضمن إلزامًا أدبيًا [١].

وأحب أن أنبه أن المهتمين بدراسة تاريخ الأديان حين يستخدمون كلمة (دين) ينصب اهتمامهم على الاستعمالين الأخيرين -وعلى الأخص الاستعمال الثالث- إذ أنهم يركزون في دراستهم على ناحيتين:

(١) الحالة النفسية وهي تلك الحالة التي نسميها بالتدين.

(٢) الحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في العادات الخارجية أو الآثار الخالدة، أو الروايات المأثورة، ومعناها جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقادًا أو عملاً [٢].

الدلالة اللفظية لكلمة (دين) في الأصل اللاتيني:

قبل أن نشرع في بيان معنى الدين في اصطلاح الأوربيين وغيرهم يجدر بنا أن نشير إلى الأصل اللاتيني للكلمة واشتقاقاته ومعناه حيث تتنوع التعاريف والمعاني تبعًا لهذا الاشتقاق أو ذاك.

فالكلمة التي تقابل عند الأمم الأوربية كلمة (دين) العربية هي (Religion) المقتبسة من اللغة اللاتينية [٣].

وقد اختلف الباحثون القدماء حول معناها الأصلي.

فهناك بعض الكتاب الرومانيين [٤] الذين اعتقدوا أنها أخذت من الأصل

---

(١) الدين ص٢٧.

(٢) المرجع السابق ص٢٨.

(٣) الشيخ مصطفى عبد الرازق: الدين والوحي والإسلام ص١١ (مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية) ط الحلبي سنة ١٩٤٥م، د/ أحمد الخشاب: الاجتماع الديني ص٨٨، مكتبة القاهرة الحديثة ط أولى سنة ١٩٥٩م.

(٤) قال (شيشرون) الروماني (١٠٦-٤٣ ق.م) بهذا الرأي. وقال أيضًا إن لفظة (Religio) مشتقة من فعل (relegere) المركب هو ذاته من السابقة (Re) التي تعني الإعادة والتكرار عندما تضاف إلى أحد الأفعال. ومن فعل (Legere) التي تعني قطف أو جمع، وصار فيما بعد قرأ، وعندما تضاف إليه السابقة (Re) فيعني إعادة الجمع أو إعادة القطف أو الأخذ، وحين....=

الاشتقاقي -leg- لتدل على الأخذ والجمع أو العدل أو الملاحظة -أي ملاحظات علامات الاتصال بما هو إلهي. أو قراءة أمارات الفأل أو الطيرة.

ومنهم من رأى [١] أن أصلها الاشتقاقي هو - lig - بمعنى أن يربط أو يعلق بـ ، ولهذا كانت الكلمة Religio تعني علاقة بين ما هو إنساني وما هو فوق الإنساني.

وقد حملت الكلمة المعنيين على أثر ذلك.

ويبدو أن المعنى الأول كان هو الأصل لأنه الذي يقابل بكل دقة الكلمة الإغريقية (Parateresis) التي تعني (العناية بملاحظة علامات الفأل والتطير وأداء الشعائر) [٢].

أما الباحثون الأوربيون المعنيون بدراسة الأديان والذين اعتمدوا على الدلالة اللفظية للأصل اللاتيني للاصطلاح الأوربي (Religion) فقد انقسموا إلى فريقين:

=ينسب هذا الفعل إلى السلوك الداخلي عند الإنسان فهو يعني عودة إلى ما (تم) التفكير والتبصر والاختلاء، والانكباب بدقة وتنبه على إتمام بعض الأفعال. وقد يكون استعمال لفظة (Religio) هو للدلالة على الاجتهاد في الدرس الدقيق لبعض الأمور البالغة الأهمية والدأب على إتمامها بدقة فائقة خوفًا من إفساد فعاليتها. وكان هذا السلوك يلازم بشكل خاص طقوس العبادة التي يجب القيام بها بدقة ويقظة وفقًا للترتيبات المرسومة. ثم امتد معنى لفظة (Religio) إلى الوسواس والاهتمام الدقيق. ومن السلوك الداخلي الشخصي التي دلت عليه في البدء امتدت دلالتها فيما بعد إلى المعنى الموضوعي فصارت تعني الطقوس والواجبات والشعائر بذاتها (الموسوعة الفلسفية العربية) (المجلد الأول) ص٤٤١ (معهد الإنماء العربي) ط أولى سنة ١٩٨٦م.

(١) يقول بعض الباحثين إن هذا الرأي يعود إلى بعض المؤلفين المسيحيين في القرون الأولى للمسيحية وبخاصة ترتوليانوس (١٦٠-٢٤٠م) الذي يقول بأن اللفظة مشتقة من فعل (Religare) المكون من السابقة (Re) ومن فعل (ligare) الذي يعني وصل، ربط، فعندما تضاف إليها السابقة (Re) يعني إعادة الوصول أو الرباط. أما لفظة (Religio) فتعني إعادة الربط بخاصة بين البشر والإله، وبالتالي تعلق البشر بالإله وخضوعهم له (المرجع السابق).

(٢) د/ محمد كمال جعفر: الإسلام بين الأديان (هامش ص١٩، ٢٠) مكتبة دار العلوم سنة ١٩٧٧م.

فريق يرى -وعلى رأسه (جيبو)- أن هذا المصطلح مشتق من الفعل اللاتيني (Religare) بمعنى جمع أو ربط أي ربط [١] شامل لربط الناس ببعض الأعمال من جهة التزامهم لها وفرضها عليهم، ولربط الناس بعضهم ببعض، ولربط البشر بالإله [٢] ولذلك ذهب بعضهم إلى أن الدين هو ارتباط جماعة إنسانية بإله أو آلهة [٣].

أما الفريق الآخر وعلى رأسه (جيفونز) و (روجيه باستيد) فيعتقد أن كلمة (Religion) ترجع أصلاً إلى الفعل اللاتيني (Religere) بمعنى العبادة المصحوبة بالرهبة والخشية والاحترام [٤].

ويعلق الأستاذ أنور الجندي على هذا بقوله: ومن هذا التفسير تبدو (مادية) معنى (Religion) وجزئيتها بالنسبة لمفهوم الدين في المفهوم الإسلامي. وفي القاموس الفرنسي يوصف رجل الدين بأنه (Religuieux) ومعنى هذا الوصف أنه لا يصلح لفهم أمور المعاش لسبب انقطاعه عن صحبة الناس وليس كذلك مفهوم الإسلام الذي لا يعترف بأن هناك رجل دين له نفوذ واختصاص [٥].

أما كلمة (Religion) الحديثة فتطلق -كما يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق- على معان ثلاثة:

١- نظام اجتماعي لطائفة من الناس يؤلف بينها إقامة شعائر موقوتة وتعبد ببعض الصلوات، وإيمان بأمر هو الكمال الذاتي المطلق، وإيمان باتصال الإنسان بقوة روحانية أسمى منه حالة في الكون، أو متعددة، أو

(١) د/ أحمد الخشاب: الاجتماع الديني ص٨٨.
(٢) الدين والوحي والإسلام ص١١.
(٣) الاجتماع الديني ص٨٨.
(٤) المرجع السابق ص٨٩.
(٥) الأستاذ/ أنور الجندي الموسوعة الإسلامية العربية (الجزء السادس) ص٥٢. دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م.

هي الله الواحد.

٢- حالة خاصة بالشخص مؤلفة من عواطف وعقائد ومن أعمال عادية تتعلق بالله.

٣- احترام في خشوع لقانون أو عادة أو عاطفة [١].

وفي معجم (اكسفورد) نجد أن هذه الكلمة تعني ما يلي:

(١) الاعتقاد في وجود قوة حاكمة خارقة للطبيعة.

(٢) الخالق والمسيطر على الكون هو الذي منح الإنسان طبيعته الروحانية وهي التي تستمر في الوجود بعد موت الجسد [٢].

وواضح أن هذه المعاني تحصر تعريف الدين في دائرة معينة وربما كان السبب في ذلك أن الواضعين لها متأثرين بدينهم المسيحي. فهذا المفهوم للدين هو في ذاته مفهوم مسيحي لأنه يقوم على أساس الاعتقاد بأن الدين ليس إلا عبادة ورابطة روحية بين الله والإنسان أما الإسلام فإنه ينظر إلى القضية من ناحية أكثر شمولاً ذلك أن الإسلام لا يقصر الدين على أنه عامل روحي ولكنه يراه نظامًا اجتماعيًا كاملاً.

والواقع أن الفكر الغربي بوجه عام يقرر أن الدين هو العلاقة بين الله والإنسان فحسب وأنها علاقة شخصية وخاصة ولا صلة لها بالمجتمع ولا تؤثر في تطور الحركة الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، بينما يقرر الفكر الإسلامي أن الدين (بمعنى الإسلام) هو دين ونظام مجتمع، وأنه يتجاوز العلاقة بين الله والإنسان إلى العلاقة بين الإنسان والإنسان وبين الإنسان والمجتمع ،وأنه نظام شامل متكامل [٣].

---

(١) الدين والوحي والإسلام ص١٢.

(٢) معجم اكسفورد ص٧١٢ الطبعة السادسة عشرة سنة ١٩٨٢م (مطبعة جامعة اكسفورد. انجلترا).

(٣) الموسوعة الإسلامية العربية (الجزء السادس) ص٤٢، ٥١.

معنى الدين في الاصطلاح:

أولا: صعوبة التعريف :

اتجهت أنظار علماء الأديان والاجتماع والفلسفة وعلم النفس وعلم الأجناس وغيرهم إلى دراسة الدين وقد استوقفتهم كلمة «الدين» وأثارت انتباههم من ناحية مفهومها، والمقصود بها، وقد أحسوا بصعوبة شديدة في وضع تعريف محدد شامل جامع للسمات المميزة للدين- أو على الأقل جامع لمعظمها. ولذلك يقول (فريزر) قد يستحيل علينا الوصول إلى وضع تعريف يكون مقبولا من الجميع» [١].

وتكمن أسباب الصعوبة فيما يلي:

(١) كثرة الأديان وتعددها واختلافها اختلافا واسعا مما يصعب معه وضع تعريف للدين شامل لجميع أفراد النوع، فالتعريف الذي قد يستنبط من دين لا ينطبق بالضرورة على الأديان الأخرى [٢].

«هذا فضلا عن أن لكل دين من الأديان فرقا ومذاهب وملا ونحلا، وطوائف مختلفة قد تصل في اختلافاتها وتفريعاتها إلى حد تبتعد معه عن المبادئ الرئيسية التي ترتكز عليها العقائد الدينية» [٣].

(٢) اختلاف فهم الدين وتأويله لدى كل من الوثنيين -القدماء والمحدثين- وأصحاب الدين السماوي، وغموض بعض جوانبه الأساسية في ذهن الوثنيين. فليس من السهل على الباحث تحديد حدود معينة لمعنى الدين لأن مفاهيم الأديان عند المتدينين تختلف فيما بينهم في هذا الباب. فمفهوم

---

(١) جيمس فريزر: الغصن الذهبي جـ١ ص٢١٧ ترجم بإشراف د/ أحمد أبو زيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧١.

(٢) د/ محمد أحمد بيومي: علم الاجتماع الديني ص١٧١ دار المعرفة الجامعية. ط ثانية سنة ١٩٨٥.

(٣) الاجتماع الديني ص٨٦.

الدين في الدين السماوي يختلف كل الاختلاف عن مفهوم الدين الوثني، ومفهومه عند الشعوب المسلمة يختلف عن مفهومه لدى الشعوب الوثنية حيث يختلف باختلاف معتقداتها، وباختلاف وجهة نظرها إلى الحياة، أضف إلى ذلك أن بعض الأديان تدخل أمورا عديدة في نطاق الأديان. ومن هنا تبرز الصعوبات في تعيين المسائل التي يمكن اعتبارها من أسس الدين في نظر الجميع [١].

(٣) يتصل الدين بأعمق العواطف والمعتقدات التي تدفع الإنسان نحو الكمال، ويشتمل على الدوافع التي تحكم سلوك الإنسان ولذلك تختلف طبيعة الدين من شخص لآخر، ويختلف تصور ماهيته لدى الأفراد بل ولدى الفرد الواحد في مراحل حياته المختلفة [٢].

يقول د/ ماهر كامل: (وهناك صعوبة أخرى تلازم تعريف الدين وتنبع من طبيعته فالدين علاقة بين طرفين وليس للإنسان علم إلا بطرف واحد منهما وهو الإنسان نفسه، وسلوك الإنسان هو الذي يبين موقف الإنسان من هذه العلاقة أي موقفه إزاء الله وبين الصفات التي يحملها الإنسان عليه ولذلك كانت الانفعالات المتعلقة بالأمور الدينية أو الخبرة الدينية هي أهم ما يبحث فيه علماء الدين، وتتعلق بهذه الانفعالات -أو هذه الخبرة- عقيدة كما تتعلق بها شعائر خاصة تجاه القوى الإلهية) [٣].

ثانيًا: نماذج من تعاريف بعض المفكرين الغربيين للدين:

اختلف الباحثون والمعنيون بدراسة الأديان في وضع مفهوم واحد واضح مميز للدين اختلافًا كبيرًا «**فمنهم من قيد هذا المفهوم وضيق نطاقه ومنهم من جعل**

(١) راجع د/ أحمد جمال العمري: الشعراء الحنفاء ص٣٠ الطبعة الأولى دار المعارف.
(٢) الموسوعة العربية الميسرة ص٨٣٨. دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر سنة ١٩٦٥م.
(٣) د/ ماهر كامل، أمين عبد الله صالح: ثقافة سياسية جـ١ ص٢٦٥ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٧م.

هذا المفهوم متسعًا تندرج تحته أديان كثيرة» [١].

يقول جيمس فريزر (وأغلب الظن أنه لا يوجد موضوع في العالم اختلفت فيه الآراء مثلما اختلفت حول طبيعة الدين) [٢].

فهناك اختلاف كثير في الرأي من حيث ما يجب أن يدرج تحت اسم الدين، ومن ثم كان لدينا عدد من التعريفات لا حصر لها، بل الواقع أنه يكاد يكون لكل كاتب عن الدين تعريف وتصور عن الموضوع يختلفان عما لسواه [٣].

«وهذا راجع إلى تعقد الديانات السائدة التي سادت في أجزاء مختلفة من العالم وتشعبها وما تثيره من مشاعر عميقة ومتباينة، وكثير من تلك التعريفات تتضمن أحكامًا، على هذه الديانات، لأن أصحابها مثلًا يعتقدون في صحة دين معين دون سواه، وبذلك يبعدون عن روح البحث الموضوعي للدين كنظام أو ظاهرة سائدة في المجتمع» [٤].

هذا وقد تأثرت معظم تعريفات الدين بالمعتقدات الشخصية والآراء المذهبية والفلسفية السائدة.

فالذين يحاولون تعريف الدين تختلف ثقافتهم وتتنوع اهتماماتهم وتتباين اعتقاداتهم ومذاهبهم الفكرية والفلسفية.

فتعريف علماء الاجتماع مثلاً يختلف عن تعريف علماء الفلسفة، وعلم النفس.

ففي المعجم الفلسفي نجد تعريف الدين بأنه (مجموعة معتقدات وعبادات

---

(١) المرجع السابق ص٢٦٣.

(٢) الغصن الذهبي ص٢١٧.

(٣) المجتمع ومشكلاته نقلاً عن: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءٖ﴾ [آل عمران :٦٤] للدكتور رءوف شلبي ص٤٣ ط أولى.

(٤) معجم العلوم الاجتماعية ص٢٧.

مقدسة يؤمن بها جماعة معينة لسد حاجة الفرد والمجتمع على السواء. أساسه الوجدان وللعقل فيه مجال) [١].

وفي معجم العلوم الاجتماعية تجد تعريفًا آخر يختلف عن التعريف السابق، ويركز على مبادئ وأسس مختلفة عن السابقة. وهو كما يلي (إن الدين نظام اجتماعي يقوم على وجود موجود أو أكثر، أو قوى فوق الطبيعة، ويبين العلاقات بين بني الإنسان وتلك الموجودات، وتحت أية ثقافة معينة، تتشكل هذه الفكرة لتصبح نمطا أو أنماطًا اجتماعية أو تنظيما اجتماعيا. ومثل هذه الأنماط أو النظام تصبح معروفة باسم الدين) [٢].

فتعريف علماء الفلسفة يركز علي الإيمان بالمعتقدات ويشير إلي صلة الدين بالعقل والوجدان. أما تعريف علماء الاجتماع فنجده يركز علي أن الدين ظاهرة اجتماعية، فما هو إلا تنظيم للعلاقات بين الأفراد وبين الإله من ناحية، وبينه وبين أفراد المجتمع من ناحية أخرى، وينتهي الأمر -بعلماء الاجتماع- الباحثين في تاريخ الأديان وأصولها إلى اعتبار الصبغة الاجتماعية في الدين أقوى وأرسخ من غيرها [٣].

ولعل خطورة هذا القول تنبع من أن النتائج المترتبة عليه غير مقبولة لأنها تعتبر أن الأديان ظاهرة اجتماعية لا رسالة سماوية خرجت من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها (على حد تعبير الدكتور طه حسين نقلاً عن دوركايم رأس المدرسة الفرنسية الاجتماعية) وأنها لم تنزل من السماء. ولا ريب أن هذه القاعدة التي لا يقرها منهج الإسلام بعيدة الأثر حيث تتجاهل مفهوم الدين الرباني القائم على الوحي، ولأنها تنكر أول ما تنكر الوحي والنبوة والقيم الثابتة في الدين كما تنكر عالم الغيب ويوم البعث والجزاء والمسئولية

(١) المعجم الفلسفي ص٨٦.
(٢) معجم العلوم الاجتماعية ص٢٧٠.
(٣) الدين والوحي والإسلام ص١٣.

الفردية والالتزام الخلقي.

هذا وقد اقترح علماء الغرب تعريفات أخرى للدين نذكر منها بعض النماذج. وتسهيلاً على القارئ يمكن أن نقسم النماذج إلى ثلاث مجموعات تبعًا للمنهج والطريقة المستخدمة في التعريف.

النموذج الأول:

التعريفات القائمة على منهج التأمل الباطني [١] (الاستبطان):

الدين -كما يقول كانت- **«هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية»**.

- أما (شاتيل) فيقرر أن الدين **«هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق، واجبات الإنسان نحو الله، وواجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه»**.

- وتعريف (سبنسر) للدين هو **«الإحساس الذي نشعر به حينما نغوص في بحر من الأسرار»** ويشير إلى أن العنصر الأساسي في الدين هو الإيمان بالقدرة اللانهائية أي التي لا يمكن تصور نهايتها الزمانية أو المكانية.

- (وماكس مولر) يعرفه بأنه (محاولة تصور ما لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه، هو التطلع إلى اللانهائي، هو حب الله).

---

(١) الاستبطان: طريقة استخدمها علم النفس الكلاسيكي. ويعني: التأمل الباطني الذي ينصب على ما يجري في عالم الشعور. ويهدف إلى أن يكشف الفرد بذاته عن حياته الداخلية. ومنه الاستبطان التجريبي وهو منهج سيكولوجي يتلخص في أن يوضع شخص تحت اختبارات معينة ليصف شعوره في أثناء التجربة. وقد وجهت إلى هذه الطريقة عدة اعتراضات أهمها أنها طريقة لا تستطيع أن تحيط بالحالة النفسية المتغيرة. وفكرة الاستبطان ليست غريبة على التفكير الفلسفي فقد أثر عن سقراط دعوته لمعرفة الذات انطلاقًا من الذات كما أن دعوة النساك والمتصوفة إنما تقوم على التأمل في الذات بهدف السيطرة على الأهواء والشهوات. (راجع: المعجم الفلسفي ص١٠، ١٩٥، الموسوعة الفلسفية العربية) (والمجلد الأول) ص٥٤، وراجع للمؤلف (دروس في النفس الإنسانية) ص٨٧ وما بعدها.

- وأخيرًا نجد (فيرباخ) يعرف الدين بأنه الغريزة التي تدفعنا نحو السعادة [١].

ويجمع هذه المجموعة وحدة المنهج المستخدم في التعريف.

وقد وجهت إلى هذه التعريفات جملة من النقود نجملها فيما يلي:

(١) تشترك جميع هذه التعاريف في أنها ذات طابع شخصي إلى حد كبير، فهي تعريفات فردية شخصية نفسية تقوم على الشعور النفسي والإحساس الفردي ويبدو أن أصحابها قد استمدوها من تحليلهم للديانات التي اعتنقوها.

(٢) لا تتجه هذه التعريفات نحو تبيين عمومية الظاهرة الدينية ولذلك لا تنطبق على كل ما تتصف بها من عموم [٢].

(٣) لا تنظر إلى الناحية الموضوعية في الدين باعتبار أن الدين حقيقة خارجة عن الذات الإنسانية تتمثل في الطقوس والعبادات التي يشترك في أدائها جماعة إنسانية تؤمن بعقيدة معينة. فهي ركزت على الجانب النفسي (أو الحالة النفسية للمتدين) وأهملت الحقيقة الخارجية التي تظهر في أداء بعض الفرائض والعبادات التي تطلبها الديانة.

(١) عن هذه التعريفات، وغيرها (راجع: روجيه باستيد: مبادئ علم الاجتماع الديني ص ٢٣ ترجمة د/ محمود قاسم. مكتبة الأنجلو المصرية ط أولى سنة ١٩٥١م، يوسف باسل: علم الاجتماع الديني ص٢٣ منشورات مكتبة الأمينة ط أولى سنة ١٩٤٦م حلب، الدين ص٢٩، د/ علي سامي النشار: نشأة الدين ص٢١، الاجتماع الديني ص٩١-٩٢). ملاحظة: يخبرنا د/ محمود قاسم في مقدمته لكتاب (مبادئ علم الاجتماع الديني) الذي قام بترجمته إلى العربية بأمر خطير جدًّا، وهو أن أحد المؤلفين الشرقيين -دون ذكر لاسمه- قد اعتمد على هذا الكتاب اعتمادًا كليًّا، أصدر كتابًا باسمه يحمل نفس العنوان تقريبًا، ولم يكتف بهذا فقط بل أخذ عنه منهجه، وترتيبه للفصول، وكثيرًا من النتائج التي اهتدى إليها. ومع هذا كله فقد قصر على اللحاق بالكتاب الذي اعتمد عليه لأنه حرص على حذف كثير من المسائل التي كانت تلقي ضوءًا على عقائد الديانة المسيحية. وكان الأولى ألا يفعل كذلك لأنه حرص على التعرض للديانة الإسلامية بشيء من التحامل. اهـ. ومن منطلق تنبيه القارئ على مثل هذه الكتب حتى يحذر منها نذكر أن هذا المؤلف هو (يوسف باسل) وأن كتابه هو (علم الاجتماع الديني) فقد رجعنا إلى هذا الكتاب ووجدنا فيه هذا التحامل الشديد. (راجع ص١٥٥).

(٢) مبادئ علم الاجتماع الديني ص٢٣، الاجتماع الديني ص٩٢، نشأة الدين ص٢١.

(٤) يغلب على هذه التعريفات النزعة الفلسفية التأملية المجردة. ولذلك يقول روجيه باستيد (من الممكن أن تتخذ هذه التعاريف أساسًا لمذهب فلسفي يذوق المرء حرارته وشدة وقعه في النفس ولكن ليس من الممكن أن تتخذ أساسًا لعلم من العلوم) [١].

ولقد رأينا كيف وصل الأمر ببعض الباحثين في تحديد موضوع الدين إلى تصويره بأرقى صورة عرفتها الفلسفة وأبعد صورة عن الخطور ببال العامة من المتدينين. ويتضح هذا في الفكرة التي عبر عنها (روبرت سبنسر) بقوله: إن العنصر الأصيل في الدين هو الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية والمكانية، فهذه اللانهائية إن صح أنها عقيدة كبار الفلاسفة والعلماء لا تنطبق بحال على عقيدة المشبهين ولا المجسمين. المطلوب ليس تحديد دين معين وإنما تحديد الدين من حيث هو في مختلف صوره ومظاهره [٢].

ولذلك يمكن القول إن جملة هذه التعريفات السابقة قد ضيقت دائرة الدين ووضعته في دائرة معينة، فلا يدخل تحت مسمى الأديان -بموجب هذه التعريفات- عبادة قوى الطبيعة وعبادة الأوثان إلى غير ذلك من الأديان الوضعية والوثنية، ولا أدل على ذلك من قول (ماكس مولر) إن الدين (هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره) فهذه العبارة لا تنطبق في حرفيتها إلا على نوع من الأديان يفصل بين العقيدة والعقل فصلاً تامًّا، ويفرض على معتنقيه أن يؤمنوا بما لا تقبله عقولهم ولا تتصوره أذهانهم [٣].

وعلى ذلك فهذه التعريفات لا تؤدي بنا إلى تحديد واضح وشامل للعناصر والأسس التي يمكن أن يطلق عليها كلمة (دين).

---

(١) مبادئ علم الاجتماع الديني ص٢٣.

(٢) الدين ص٣٣.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

النموذج الثاني: التعريفات القائمة على (الحدس) [١]:

بعد أن ثبت فشل طريقة التأمل الباطني في وضع تعريف مقبول للدين رأي (برجسون) أنه لا بد من إدخال بعض التعديلات الجذرية في هذه الطريقة ويكون ذلك باستخدام (الحدس) بدلاً منها.

والدين [٢] -في نظره- رد فعل دفاعي تقاوم به الطبيعة قوة العقل الهدامة [٣] أو هو (رد فعل دفاعي تقاوم به الطبيعة ما في اشتغال العقل مما قد يشل قوى الفرد ويخل تماسك المجتمع) [٤] وهذا التعريف فيه بعض الغموض الذي يحتاج إلى توضيح وسنحاول أن نبين ذلك باختصار شديد.

يرى برجسون أن العقل البشري له حسناته وسيئاته، فالإنسان الوثني القديم

---

(١) الحدس: سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب ويقابله الفكر وهو أدنى مراتب الكشف (التعريفات ص٧٣). أو هو الإدراك المباشر لموضوع التفكير. أو هو ذلك النوع من المعرفة المباشرة التي لا تحتاج إلى برهان أو دليل ولا تحتاج بالتالي إلى الطرق التي تستخدم في إقامة البراهين كالقياس والاستدلال والاستنباط أو ما شابه إنها استنتاج مباشر، أو معرفة متكاملة مباشرة تضع العارف (الإنسان) إزاء موضوعه أي موضوع المعرفة (هذا المنهج عرفه ابن سينا وعده طريقًا إلى نوع من المعرفة يغاير تلك التي أخذها عن أرسطو والفلسفة المشائية مشيرًا إلى تميز بعض الأشخاص باستعداد خاص يهيئهم لتقبل المعقولات تقبلاً مباشرًا وقد سمى هذا الاستعداد حدسًا. وعني به ديكارت وعده سبيل الوصول إلى الحقائق البديهية. وجعله (برجسون) السبيل الوحيد لمعرفة المطلق) (راجع التعريفات للجرجاني ص٧٣ ط الحلبي سنة ١٩٣٨م، المعجم الفلسفي ص٦٩، ٧٠، الموسوعة الفلسفية العربية، ٣٥٨، ٣٥٩ (معهد الإنماء العربي ط أولى سنة ١٩٨٦م).

(٢) يميز (برجسون) بين نوعين من الدين: (١) الديانة الإستاتيكية (الديانة الساكنة وهي ديانة المجتمع المغلق) (٢) الديانة الديناميكية (الديانة المتحركة النامية) ويرى أن هذا النوع من الديانة إنما هو من خلق إنسان من صفوة البشر سما إلى فكرة مثالية. وحاول أن ينبثق من أعماقه دين، ولذلك فإن تعريفه للدين ينصب على النوع الأول الذي يختص بالمجتمعات الوثنية القديمة أو ما يسمونها (بالمجتمعات البدائية) وربما يكون لنا وقفة فيما بعد مع هذه التسمية.

(٣) برجسون: منبعا الأخلاق والدين ص١٤١ ترجمة سامي الدروبي، عبد الله عبد الدائم. دار العلم ط ثانية سنة ١٩٨٤م.

(٤) المرجع السابق ص٢١٧.

-في نظر برجسون- يستطيع أن يترقب المصاعب ويحسب الحساب لعجزه عن تذليلها، فهو مضطر لأن يتصرف، لكنه يعلم أنه سيموت ذات يوم، وهذا الشعور بالعجز يكبح عليه أفعاله وتصرفاته ويعرض حياته للخطر، كما أن التبصر يشكل خطرًا آخر. إن المجتمعات تدوم وتستمر لأن أعضاءها يرتبطون فيما بينهم بالتزامات معنوية، لكن الفرد كثيرًا ما يتوصل بذكائه -كما يرى برجسون- إلى تحديث نفسه بأن مصالحه الذاتية الأنانية ينبغي أن تكون في موقع الصدارة والأولوية سواء اتفقت مع المصلحة العامة أم لم تتفق، حيال هذه الإشكالات تعمد الطبيعة -كما يرى هو- إلى القيام بنوع من التكييف والموازنة بغية إعادة الثقة للإنسان وإلزامه بالتضحية إلزامًا وذلك بأن تستنهض الغريزة في أعماقها المتوارية وراء الذكاء وهكذا تستغل طبيعة قابلية الكائن البشري لابتداع الأساطير والخرافات من أجل تنويم ذكائه أو عقله دون القضاء عليه.

فالدين -في نظره- هو والسحر يعوضان الشخص عن السبات الذي فرض على الذكاء ويتيحان للإنسان الذي يرى في الطبيعة قوى وهمية أو يستنجد بأرواح من اختراعه أن يتابع سيره باتجاه هدفه، كما أنهما يلزمانه بتناسي مصالحه الأنانية تلبية للمصلحة العامة ويفرضان عليه الخضوع للنظم الاجتماعية إذ يلتزم بالمحرمات والممنوعات [١].

وبهذا الشرح يتضح تعريف (برجسون) للدين فهو يرى في الديانة نوعًا من رد الفعل أو الهجوم المعاكس تقوم به الطبيعة ضد ما قد يتأتى عن استعمال العقل من انحطاط في الفرد وتفكك في المجتمع [٢].

لقد أصيب الباحثون بحسرة شديدة، لقد ظنوا أن (برجسون) سيحل لهم

(١) إيفنز برتشارد: الأناسة المجتمعية ديانة البدائيين في نظر الأناسين ص٢٩١ ترجمة حسن قبيسي. ط أولى سنة ١٩٨٦م.

(٢) يوسف باسل: علم الاجتماع الديني ص٢٣.

الإشكال ويضع تعريفًا شاملاً للدين ولكنه لم يفعل.

يقول باستيد: (واحسرتاه: فلن يكون هذا التعريف أكثر حظًّا من سابقيه في جذب انتباهنا وذلك لأنه يرتبط من الناحية المنهجية بنظرية في الحدس لا يسلم بها الناس جميعًا، ولأنه يقوم من الناحية النظرية على أساس فكرة برجسون (الوثبة الحيوية) [١] التي تظل في نظر عدد كبير من الناس فكرة ميتافيزيقية لا يمكن للعلم أن ينظر إليها نظرة جدية على الرغم مما ترمي إليه من تضييق الخناق على التجربة إلى أكبر حد ممكن) [٢].

وبناءً على ما سبق فإن هذا التفسير للدين غير مسلم به لما ينطوي على أفكار ميتافيزيقية وأسس نفسية وتأملات غير واقعية [٣].

النموذج الثالث: التعريفات القائمة على المنهج المقارن [٤]:

وهذا المنهج يقوم على المقارنة بين الأديان القديمة والحديثة في المجتمعات المختلفة بغية الوصول إلى الأسس والعناصر العامة المشتركة بين الأديان ويندرج تحت هذا المنهج مجموعة كبيرة من التعريفات نذكر منها ما يلي:

- يقول جيمس فريزر: (الدين في نظري هو التزلف والتقرب إلى القوى العليا التي تفوق الإنسان والتي يعتقد أنها توجه سير الطبيعة والحياة البشرية وتتحكم فيها، وعلى أساس هذا التعريف يتألف الدين من عنصرين أحدهما نظري وهو الإيمان في وجود قوة أعلى وأسمى من الإنسان. والآخر عملي

(١) المقصود بها عند برجسون: قوة حيوية أصيلة تنتقل في الكائنات الحية من جيل إلى آخر. وهي مصدر الحياة في تطورها وتشعبها -في نظره- (المعجم الفلسفي ص٢٥، راجع أيضًا: الموسوعة الفلسفية العربية ص٤٠١).

(٢) مبادئ علم الاجتماع الديني ص٢٥.

(٣) راجع د/ أحمد الخشاب -في نقده لرأي برجسون- علم الاجتماع الديني ص ١٠٤، ١٠٥.

(٤) المنهج المقارن: منهج يسلك المقارنة بين صور مختلفة من الأحداث والصور وقد توسع دوركايم في تطبيقه واعتبره هو الأداة المثلى في منهج علم الاجتماع. (المعجم الفلسفي ص١٨٩).

وهو محاولة استمالة هذه القوى وإرضائها) [١].

ويلاحظ من آراء (فريزر) في الدين أنه جعل ظهور الديانات مرتبطًا بخضوع الإنسان للإله.

- ويعرف (تايلور) الدين بأنه (الإيمان بكائنات روحية) [٢] فأي نظام من الشعائر والممارسات يقوم على أساسه الاعتقاد بوجود كائن أو كائنات روحية يجب اعتباره -في نظر تايلور- دينًا.

فالاعتقاد في الكائنات الروحية هو بحسب تعريف تايلور (أقل تعريف ممكن للدين) [٣].

أما (ريفيل) فيعرف الدين بأنه (توجيه الإنسان سلوكه وفقًا لشعوره بصلة بين روحه وبين روح خفية يعترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر العالم، ويطيب له أن يشعر باتصاله بها) [٤].

وقد رفضت المدرسة الاجتماعية الفرنسية وعلى رأسها (دوركايم) اعتبار أن فكرة (الإلهية) أو فكرة (الروحية) هي التي تحدد ماهية الدين، ولذلك ردت التعريفات السابقة ورفضتها وحجتها في هذا خلو بعض الديانات من (فكرة الألوهية) أو (فكرة الكائنات الروحية) مثل البوذية [٥]. فهي لا تؤمن

(١) الغصن الذهبي ص٢١٧-٢١٨.

(٢) د/ أحمد أبو زيد: تايلور ص١٣٢. (سلسلة نوابغ الفكر الغربي) دار المعارف سنة ١٩٥٧، أرنست كاسيرر: الدولة والأسطورة ص٧٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥.

(٣) تايلور ص١٣٢.

(٤) راجع: الدين ص٣٠، نشأة الدين ص٢٢، ٢٣.

(٥) يذكر الباحثون أن البوذية لم تتعرض للألوهية. يقول د/ محمد الندوي (إننا لا نجد في تعاليم البوذية ومبادئها أثرًا يدل على إيمانهم بإله واحد أو عدة آلهة، أي بالتوحيد أو بالوثنية) الهند القديمة حضارتها وديانتها ص١٤٩. دار الشعب سنة ١٩٧٠م. ويذكر الأستاذ/ حامد عبد القادر أنه برغم أنه لم يؤثر عن بوذا نفسه أنه تعرض للألوهية بإثبات أو نفي إلا أنه يروى أن البوذية الأولى كانت تعترف بوجود الآلهة الذين كان يعترف بهم البراهمة (بوذا الأكبر حياته وفلسفته) ص٧٦ سلسلة قادة الفكر والشرق. دار نهضة مصر سنة ١٩٥٧م.

بإله يخضع لسلطانه البشر. ومهما قيل في أمر (ألوهية بوذا) فإن هذا التأليه متأخر عما هو في الحقيقة أصل الديانة البوذية [١].

والواقع أنهم بتجريدهم ماهية الدين من فكرتي (الإلهية) و (الروحية) قد جردوها من أخص صفاتها، ونزعوا منها المحور الذي تدور عليه كل عناصرها، والمعيار الوحيد الذي تقاس به مظاهرها، وتتميز به عما سواها [٢].

أما التعريف الذي اختاره (دوركايم) فهو كما يلي: (الدين هو نظام مؤلف من عقائد وأعمال متعلقة بشئون مقدسة (أي مميزة محرمة) تؤلف من كل من يعتنقونها أمة ذات وحدة معينة) [٣].

يقوم هذا التعريف على أساس تقسيم دوركايم للأشياء إلى قسمين متضادين: مقدس، وغير مقدس. ولا يعني دوركايم بالأشياء المقدسة هي مجرد الكائنات الشخصية التي يطلق عليها اسم الآلهة أو الأرواح، ففي الجملة قد تكون من المملكة الحيوانية أو النباتية أو من الظواهر الطبيعية أو صنم من الأصنام، وقد يوجد هذا الطابع في طقس من الطقوس أو في بعض الألفاظ والعبارات والصيغ) [٤].

يقول دوركايم: (والعنصر المشترك بين جميع الديانات هو الأمور المقدسة) [٥].

وتتميز عن غيرها بأنها محرمة ويتعلق النهي بها أما الأشياء التي ليست مقدسة فإنها غير محاطة بسياج من هذه النواهي، فالعقائد الدينية هي العلم بطبائع الأمور المقدسة وما بينها من روابط والعلم بعلاقاتها بالأمور غير

---

(١) الدين والوحي والإسلام ص١٦.
(٢) الدين ص٥٠.
(٣) الدين والوحي ص١٨، الدين ص٣٢، نشأة الدين ص٢٨.
(٤) مبادئ علم الاجتماع الديني ص٢٧، الاجتماع الديني ص٩٤، ٩٥.
(٥) مبادئ علم الاجتماع الديني ص٢٧.

المقدسة [١].

وقد أخذ بهذا التعريف كل تلامذة (دوركايم) من المدرسة الفرنسية. وهذا التعريف لم يسلم من النقد بل هاجمه الأستاذ (لالاند) في معجمه الفلسفي [٢].

ويمكن ان نناقشه بما يلي:

لقد لاحظنا أنه يركز على الجانب العملي (السلبي) وهو التحريم لبعض الأشياء والتحذير من مباشرتها والدنو منها مع أن المنع من لمس شيء ما ليس دائمًا دليل قدسيته، بل قد يكون على الضد دليل على ما فيه من خبث ورجس.

ومن ناحية أخرى فإن الشعائر العملية في كل نحلة يجب أن تكون ترجمة كاملة لعقائدها فإذا كان التقديس هو من أحد جانبيه تنزيهًا عن العيوب والنقائص فهو من الجانب الآخر وصف بالجمال والكمال، هو تعظيم للقيم الكبرى والمثل العليا. فمظهره في الناحية السلبية عدم انتهاك الحرمات. وفي الناحية الإيجابية الإقبال على الفضائل اغترافًا من معانيها، وتذوقًا لجمالها، وتمثلاً لجوهرها. فالتعريف إذًا قاصر عن استيفاء أجزاء المعرف لأنه كما قلنا يركز على الناحية السلبية فقط [٣].

ويلاحظ أيضًا أن هذا التعريف -وما شابهه من تعاريف المدرسة الاجتماعية الفرنسية- قد جرد الدين من أهم عناصره الأساسية وذلك بإبعاد أصل فكرة الألوهية بكل معانيها من ماهيته.

هذا إلى جانب أنه يثير اللبس لأننا بموجب هذا التعريف لا نستطيع أن

---

(١) الدين والوحي ص١٧.

(٢) راجع: نشأة الدين ص٢٨، الدين والوحي والإسلام ص١٨، ١٩، مبادئ علم الاجتماع الديني ص٢٨.

(٣) الدين ص٥٠.

نفرق بين الدين وبين بعض المظاهر أو العادات الاجتماعية. حيث يمكن تطبيقه بأكمله -بعد حذفه لأصل فكرة الألوهية- على كل مظهر من مظاهر النشاط الاجتماعي متى كانت له صبغة السنن الموروثة التي يلتزم الجمهور مراعاتها في حياتهم الأدبية أو الفنية، أو الاقتصادية أو غيرها. فعادة رفع الأعلام في الأعياد، والقيام عند السلام الوطني، ولبس السواد في الحداد، ووضع الخاتم في أصبع معينة للمتزوج أو غير المتزوج، وحفلات التكريم وإشارات التعظيم، والأزياء القومية أو الطائفية، وسائر العوائد الملتزمة التي تسمى بـ (الإتيكيت) أو (البروتوكول) والتي يعد الخروج عنها نابيًا في ذوق العرف العام -أو الخاص- كل أولئك يسوغ لنا بمقتضى تعاريف المدرسة الاجتماعية الفرنسية أن نسميها أعمالاً دينية وعبادات. ومثل هذا يقال في باب الآراء والمذاهب السياسية وغيرها [١] فخلط دوركايم بين الدين والظواهر الاجتماعية واضح. ولذلك يقول (باستيد): ولا شك أن يكون تعريف دوركايم للأمور الدينية بأنها أمور قدسية تعريفًا واسعًا جدًّا) [٢] بل ويثير اللبس والخلط بين الحقائق الدينية وغيرها إلى أقصى مدى كما سبق أن أشرنا.

وهكذا وجدنا اختلافًا كبيرًا بين الباحثين في تحديد ماهية الدين وبيان أسسه وعناصره، ولاحظنا أن التعريفات المقترحة لا تفي بالمطلوب إما لكونها ناقصة غير جامعة لأطراف المعرف، وإما لكونها غير علمية لكونها تعريفات شخصية فردية استمدها أصحابها من الديانات التي اعتنقوها (لذلك يجب الإشارة هنا إلى أن معظم التعريفات المقترحة والخاصة بالدين مستمدة أصلاً مما يسمى بالتراث اليهودي والمسيحي، وهي لا تنطبق بالضرورة على الأديان الأخرى مثل الإسلام) [٣].

---

(١) المرجع السابق ص٥١. (٢) مبادئ علم الاجتماع الديني ص٢٨.

(٣) د/ محمد أحمد بيومي: علم الاجتماع الديني ص١٨٣.

دلالة هذا الاختلاف:

على أن هذه الحيرة حيرة العلماء في تحديد عناصر الدين، وهذا الخلاف بينهم على وضع تعريف يعرب عن حقيقته، كل ذلك يدل على أن العلم لم يكشف الحجب عن الدين وأسراره.

وربما كان من غرور العقل البشري أن يزعم لنفسه القدرة على هدم بناء متين متغلغل الأسس في الفطرة الإنسانية من قبل أن يعرف مواد هذا البناء أو يعرف كيف تم بناؤه [١].

كما يدل هذا الاختلاف على اضطراب الفكر الأوربي في تفسير مفهوم الدين وهذا راجع إلى ما يلي:

(١) كثرة المواريث المظلمة فيما يتعلق بالدين الذي توارثوه عن الأمم الوثنية القديمة.

(٢) عدم وضوح عقائدهم التي ورثوها في أذهانهم.

(٣) عدم وجود نصوص في كتبهم الدينية توضح مفهوم الدين.

(٤) عدم كمال دائرة الفروض العقلية التي وضعوها لمناقشة التدين.

(٥) فساد المقاييس العلمية التي وضعوها لتفسير التدين [٢].

العناصر المميزة للدين:

لقد تقبل بعض الدارسين للأديان عدم جدوى الوصول إلى تعريف كامل للدين ولذلك رأوا أنه يمكن الاستعاضة عن هذا بوضع أهم العناصر الجوهرية التي يتألف منها الدين، وفي الوقت نفسه تنطبق على الدين بوجه عام.

لقد أورد علماء مختلفون ممن درسوا الدين السمات التالية وبدون أي

---

(١) الدين والوحي ص٢١.

(٢) يا أهل الكتاب ص٤٨.

ترتيب معين للأولويات [١]:

- الاعتقاد في كائن (أو كائنات) خارج نطاق الطبيعة إلى جانب نظام خفي يتفق مع هذا ويتعارض مع النظام الطبيعي.

- الاعتقاد بأن الإنسان مقدر له أن يقيم علاقة شخصية مع ذلك الكائن أو تلك الكائنات.

- طقوس ومعتقدات معينة يظن أن الحقيقة اللاطبيعية تقرها أو تأمر بها بما في ذلك الاعتقاد في حياة مستقبلة، وفي الصلاة، وفي معايير ومواثيق للسلوك...إلخ.

- تقسيم الحياة إلى مقدسة وغير مقدسة بما يصحبها من أنشطة مترتبة على هذا التقسيم مثل نظام الأشياء، أو الأماكن المقدسة، أو بيوت العبادة، وما يصحب هذا من طقوس.

- الاعتقاد بأن ما فوق الطبيعة يبلغ مشيئته وأوامره عن طريق رسل من البشر يختارهم.

- محاولة تنظيم الحياة التي لا تعتبر سوى مرحلة في هذا العالم بحيث تتمشى مع ما يعتقد أنه الحقيقة طبقًا لأهداف ما فوق الطبيعة.

- الاعتقاد بأن الحقيقة الموحي بها تحل محل الأنواع الأخرى الناتجة عن الجهود البشرية وذلك بقدر ما يتعلق الأمر بأسمى مشكلات الفكر.

- عادة إدخال من يؤمنون في حظيرة جماعة من المؤمنين. وبذا يصبح في إمكان الدين أن يسري في حياة كل من الفرد والجماعة.

هذه السمات تمثل الخصائص العامة للدين والتي يمكن أن تصلح إلى حد

---

(١) سيد حسين الأتاسي: مشكلات تعريف الدين ص٥، ٦ ترجمة د/ راشد البراوي (بحث في المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية) السنة الثامنة العدد (٣١) سنة ١٩٧٨م مركز مطبوعات اليونسكو، راجع أيضًا الاجتماع الديني ص١٦٩-١٧٩.

معين لتكوين فكرة عامة عن طبيعة الدين.

وهناك وسيلة أخرى يمكن أن تكون أكثر وضوحًا -وهي أقرب إلى الصواب من غيرها- لبيان العناصر الجوهرية المميزة للدين وهي النظر إلى الدين من زاويتين:

الأولى: إذا نظرنا إلى الدين من حيث هو حالة نفسية بمعنى التدين وما يتميز به الدين من هذه الزاوية هو ما يلي:

(١) يقوم الدين على أساس علاقة بين ذات وذات لا بين ذات وفكرة مجردة أو تجريدية.

(٢) إن هذه الذات لها صفات خاصة لا يقع عليها حس المتدين.

(٣) إن هذه الذات تتصرف في مصائر الناس بقوى غيبية غير محسوسة، وإن تصرفها ذلك ناتج عن مشيئة واختيار وحرية.

(٤) إن هذه الذات ليست منعزلة عن العالم بل لها اتصال به.

(٥) إن هذا الإيمان من شأنه أن يدفع المؤمن إلى التوجه إلى هذه الذات بالطاعة والعبادة والخضوع.

وعلى ذلك يمكن تعريف الدين من هذه الزاوية بأنه: الاعتقاد بوجود ذات -أو ذوات- غيبية علوية لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشئون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات في رغبة ورهبة وخضوع وتمجيد.

الثانية: أما إذا نظرنا إلى الدين من حيث هو حقيقة خارجية فيمكن تعريفه بأنه (جملة النواميس التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية وجملة القواعد العملية التي ترسم طريقة عبادتها).

وعلى ذلك يكون تعريف الدين طبقًا لهاتين الزاويتين كما يلي:

الدين هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة حسب نواميس معينة

وقواعد محددة ترسم طريق العبادة والطاعة لتلك الذات [١]. ويمكن أن تقول إن هذا التعريف هو أشمل تعريف للدين حيث ينطبق على الأديان المختلفة.

الدين في لسان الشرع:

لقد اشتهر تعريف الدين عند علمائنا -علماء المسلمين- بما يلي:

«الدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول ﷺ» [٢].

«الدين وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل» [٣].

«الدين وضع إلهي (يوحي) الله تعالى به إلى البشر على لسان واحد منهم لا كسب له فيه ولا صنع، ولا يصل إليه بتلق ولا تعلم ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم :٤] » [٤].

يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق: **«ولئن كان القرآن قد استعمل لفظ (دين) بهذا المعنى الشامل كما يدل عليه تسمية نحل المشركين أديانًا في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون :٦]** ، فإن القرآن قرر في أمر الدين أصولاً جعلت للدين معنى شرعيًا خاصًا، فالدين لا يكون إلا وحيًا من الله إلى أنبيائه الذين يختارهم من عباده، ويرسلهم أئمة يهدون بأمر الله» [٥].

وهي تعريفات متقاربة وهي لا تصدق إلا على الدين السماوي وبالأخص لا تصدق إلا على الدين الإسلامي، فليس هناك أي دين يصدق عليه أنه وحي من عند الله تعالى سوى دين الإسلام.

ومع ذلك فإن القرآن الكريم لم يمنع إطلاق لفظ (الدين) على الأديان الوضعية فلقد سمى نحلة المشركين دينًا في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ

(١) راجع الدين ص٢١-٢٥، راجع أيضًا د/ محمود مزروعة، دراسات في النصرانية ص٩، ١٠.
(٢) التعريفات: ص٩٤.
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون باب الدال فصل النون جـ٢ ص٣٠٥.
(٤) تفسير المنار جـ٢ ص٥٧. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢م.
(٥) الدين والوحي والإسلام ص٢٩.

دِينِ﴾ [الكافرون :٦] .

وسمى ما عليه أهل الكتاب دينًا في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [التوبة :٢٩] .

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء :١٧١] .

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة :٧٧] .

وهذا يعني أن ما غير الإسلام يسمى دينًا، ولكن الدين المقبول عند الله هو الإسلام بموجب قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران :٨٥] .

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران :١٩] .

وما دام القرآن الكريم لم يمنع إطلاق لفظ (دين) على الأديان الوضعية فقد استخدمناه لبيان أن هناك دينًا صحيح ودينًا غير صحيح.

الفرق بين الدين السماوي والدين الوضعي:

والدين ينقسم بوجه عام إلى قسمين: دين سماوي أي من وحي الله، ودين وضعي أي من وضع بشر.

فالدين السماوي: **«هو الدين الذي نزل من عند الله سبحانه وتعالى على أنبيائه ورسله بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام»**.

وهو: تعاليم إلهية من وحي الله تعالى لرسله وإرشادات من لدن العليم الخبير بنفوس العباد وطبائعهم وما يحتاجون إليه في إصلاح حالهم في المعاش والمعاد والدنيا والآخرة.

إنه مجموعة التعاليم والأوامر والنواهي التي يجيء بها رسول من البشر أوحى الله تعالى بها إليه [١].

(١) د/ عوض الله حجازي: مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص١٢.

والدين السماوي: من صنع الله وحده فلا يد لإنسان فيه أيًّا كان ذلك الإنسان -حتى الأنبياء والرسل لا دخل لهم في وضع الدين المنزل عليهم فكل ما يأتي به النبي إنما هو من عند الله تبارك وتعالى يتولى تبليغه إلى الناس دون أن يزيد أو ينقص وهذا رسول الله ﷺ يقول عنه ربه [١]: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم :٣-٤] .

أما الدين الوضعي: فهو بالعكس من وضع البشر ومن صنعهم، فليس وحيًا من عند الله وليس له أنبياء، ورسل، بل هو عبارة عن مجموعة من المبادئ والقوانين العامة وضعها بعض الناس المستنيرين لأممهم ليسيروا عليها ويعملوا بها، والتي لم يستندوا في وضعها إلى وحي سماوي ولا إلى الأخذ عن رسول مرسل، إنما هي جملة من التعاليم والقواعد العامة اصطلحوا عليها وساروا على منوالها وخضعوا فيها لمعبود معين أو معبودات متعددة [٢].

وعلى ذلك يمكن وضع بعض الفروق الجوهرية بين الدين السماوي والدين الوضعي بما ياتي:

أولاً: من ناحية المصدر:

فالدين السماوي مصدره الوحي الإلهي من الله سبحانه وتعالى إلى البشر بواسطة رسل الله المصطفين وهو لذلك الدين الحق لأنه صادر عن الحق.

أما الدين الوضعي فمصدره الوضع البشري والتفكير الإنساني وهو لذلك يلازمه النقص والقصور.

ثانيًا: من ناحية جوهره وموضوعه:

وجوهر الدين السماوي هو الدعوة إلى وحدانية الله عز وجل والاعتراف بربوبيته والخضوع له، وطلب العون منه.

فالدين السماوي يدعو الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد، المنزه عن

(١) د/ محمود مزروعة: دراسات في النصرانية ص١٠.
(٢) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص١١.

النقائص والأشباه والنظائر، فلا خضوع إلا لله، ولا عبادة إلا لله، ولا استعانة إلا به سبحانه وتعالى منزه عن كل نقص بشري فلا يشبه البشر في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص :١-٤] .

أما الأديان الوضعية: فمدار التقديس والعبادة فيها يكون لغير الله من الأحجار أو التماثيل أو الأصنام أو الأوثان أو الإنسان أو إحدى قوى الطبيعة الكونية والإنسانية. وكثيرًا ما نجد في الدين الوضعي الواحد آلهة متعددة كثيرة مختلفة ومتنوعة **«فهو يجيز تعدد الآلهة فيجعلها كثيرة متغايرة، بل قد تكون متنافرة ومتخالفة مثل إله الخير وإله الشر، وإله الحرب، وإله السلم . . . إلى آخره»**[(١)].

ثالثًا: من ناحية التعاليم:

وتعاليم الدين السماوي تستهدف صلاح أحوال البشر في الدنيا، وفلاحهم في الآخرة، وذلك بالنظر إلى مصدرها، فالله سبحانه وتعالى هو الخالق وهو الخبير الحكيم بأحوال البشر وما يصلح أحوالهم وما يتمشى مع طبائعهم. ولذلك شرع لهم من التعاليم ما يستطيعون القيام به ويحيوا سعداء، فقد هيأ الدين السماوي للناس السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

فصدور هذا الدين من الله إلى الإنسان يعني أنه صادر ممن يعرف طبيعة الإنسان وقواه الأساسية التي يتألف منها، ويعرف أبعاد هذه القوى وأغوارها ومعناها أي (وضعها): ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة :٢٨٦] ، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق :٧] .

وعلى ذلك فالدين السماوي كامل شامل لأنه من وحي الله سبحانه وتعالى خالق السماوات والأرض علام الغيوب الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في

---

(١) المرجع السابق ص١٣.

السماوات والأرض وهو الخبير العليم بدقائق الأشياء وطبائعها، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك :١٤] .

أما الدين الوضعي فيقوم على مجرد آراء وأفكار لبعض البشر.

والإنسان بحكم وضعه البشري غير معصوم من الخطأ، وغير موصوف بالكمال، وهذه الأوصاف تنسحب على أفكاره الوضعية، فيلازمها النقص وعدم الكمال، فما يصلح اليوم من الأفكار البشرية لا يصلح للغد، وما يصلح لهذا المجتمع لا يصلح للآخر، وما يستفيد منه البعض يتضرر منه الآخرون.

فلا يستطيع إنسان -مهما أوتي من قوة الذكاء والحكمة- أن يضع نظامًا أو قانونًا أو مذهبًا كاملاً يصلح للبشر بجميع ألوانهم وباختلاف أحوالهم وبيئاتهم.

ولذلك نرى أن الأديان الوضعية والقوانين البشرية كثيرًا ما يقع فيها التبديل والتغيير لعدم وقوف الواضعين على حقائق الأشياء وعلى الحكم والمصالح الدقيقة التي لأجلها يجيء التشريع، ونرى أنها وإن وضعها النابغون والنابهون يفوتهم فيها ما يحتاجون إلى تلافيه ويشتركون فى أن تشريعهم لم يأت بالفائدة المطلوبة منه وذلك لأنه ليس لأحد أن يتوصل لحقائق الأمور على وجهها الصحيح الصالح للفرد والأمة بل يجب أن يحدث التقصير مع اختلاف العادات والطباع والمشارب [١].

فالأديان الوضعية مهما احتاط واضعوها وأجهدوا قريحتهم في اختيار الأنفع والأصلح قاصرة وغير وافية بسعادة الأفراد والأمم [٢].

ويذكر الشيخ أبو دقيقة أن القوانين الوضعية قد أغفلت أمرًا عظيمًا هو

(١) الشيخ محمد الحسيني الظواهري: التحقيق التام في علم الكلام ص١٥٤ الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩ مكتبة النهضة المصرية.

(٢) الشيخ محمود أبو دقيقة: مذكرات التوحيد المقررة على طلبة السنة الثالثة (كلية أصول الدين بالقاهرة) ص٢٥٩ سنة ١٩٣٦م.

أساس الامتثال والخضوع للقوانين التي تحدد للإنسان الطريق الذي يسلكه، ذلك الأمر هو المطالبة بتطهر النفوس من الأخلاق المذمومة والأمراض الباطنية كالحقد والحسد والكبر، وعقد أواصر الصلات بين الأفراد والجماعات التي أساسها المحبة وشعور الإنسان بسلطة قاهرة تراقبه في السر والعلن، واعتقاد كون الأعمال التي يعملها في الحياة الدنيا طريقًا لسعادة قائمة أو شقاء دائم فسلطان ذلك القانون الوضعي على الظاهر فقط ولا سلطان له على القلوب القائدة [١].

هذه هي أهم الفروق الجوهرية بين الدين السماوي والدين الوضعي.

* * *

(١) المرجع السابق ص٢٥٨، ٢٥٩.

obeikandl.com